احمل سلاح الشهيد

مشايخ الجهاد الثلاثة (٢)

رفاعي طه (رحمه الله)

للشيخ أيمن الظواهري (حفظه الله)



١٤٣٧

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

أيها الإخوة المسلمون في كل مكان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد

في الحلقة السابقة أشرت بإيجاز لمآثر الشيخين أبي الحسن رشيد البليدي وأبي فراس السوري رحمهما الله، أما في هذه الحلقة فأود أن أذكر بعض مآثر ثالثهما.

ألا وهو الشيخ المجاهد المهاجر المرابط الزعيم القدوة المعتز بدينه وعقيدته الصابر على طول الطريق وغربة الهجرة ومرارة الأسر الجبل الصامد، الذي لا تزحزحه العواصف، ولا تزلزله النوائب؛ الشهيد -كما نحسبه- رفاعي طه، رحمه الله رحمةً واسعةً، وألحقنا به في فردوسه الأعلى، فهو رفيق الدرب وصديق العمر وأخو الشدة، وإني إذ أرثيه فكأني أرثي جزءًا من نفسي، وردحًا من عمري، بل أرثي مرحلةً من مراحل تاريخ الجهاد المعاصر في مصر والعالم الإسلامي.

إني لأجبن من فراق أحبتي   وتحس نفسي بالحمام فأشجع

ويزيدني غضب الأعادي قسوةً   ويلم بي عتب الصديق فأجزع

ورفاعي طه ليس شخصًا عاديًا، ولكنه شيخ من شيوخ الجهاد المعاصر، وزعيم حاز على الرفعة والعلو في العديد من ميادين السمو والمجد والقدوة.

تعرفت عليه في سجن ليمان طره حيث قضيت معه قرابة سنة كاملة في نفس القسم (عنبر التجربة)، ثم سنةً أخرى كنت جاره في القسم الملاصق له، كان (عنبر التجربة) ذا زنازين ضيقة، ولكنه كان بمعاشرة الصالحين من المجاهدين فضاءً واسعًا من العلم والتعلم والتحريض والثبات، قبل أن تتسلل فتن التراجع والتخاذل للنفوس، وإن كنت ألحظ بذورها تنمو وئيدًا في نفوس البعض، الذين تسلقوا سلم الزعامة، ثم عجزوا عن الوفاء بحقها.

وكان رفاعي طه رجلًا من الطراز الراقي، يأنف الظلم، ويأبى الضيم، ويجهر بالحق، ولا يخاف فيه لومة لائم، كما كان زعيمًا محنكًا وقائدًا حكيمًا مع بذل لا ينقطع، وعطاء لا ينضب.

لقد كان رفاعي بطلًا وصادقًا ومقدامًا، وكان رجل الحرب المخضرم، الذي يعرف كيف يديرها كالليث الهزبر، الذي يكمن ويتربص، فإذا وثب لم يصمد لوثبته أحد، فقد كان يرى ضرورة المواجهة المسلحة مع النظام المصري، وقد شارك من قبل في الانتفاضة الجهادية ضد السادات، ولكنه لما خرج من السجن لم يكن يؤيد التعجل في الصدام المسلح مع الحكومة، لأنه كان -كما أخبرني- يحرز تقدمًا في العمل الدعوي التنظيمي والشعبي، وهو ولا غرو فارس الدعوة والعمل السياسي والطلابي المنضبط بالشرع، ولذا كان يرى عدم الاستعجال في المواجهة المسلحة قبل الإعداد الجيد لها، وقد أبلغني أنه أكد لإخوانه في الجماعة الإسلامية؛ أننا إذا بدأنا القتال فلا يجب أن نتراجع حتى يحكم الله بيننا وبين النظام، وأن قرار دخول المعركة ليس سهلًا، وإذا أخذ فلا يجب التراجع عنه.

ولكن إخوانه تعجلوا المواجهة بعد مقتل علاء محيي الدين رحمه الله، ثم تراجع الكثير منهم بعد ذلك، وهنا خالفهم رفاعي طه، وذكرهم بما قاله لهم، وأنه لا يجوز لهم إيقاف القتال قبل أن يفصل الله بينهم وبين عدوهم.

ولما بدأت فتنة التراجعات –التي خسرت الجماعة الإسلامية فيها الدين والدنيا– رفضها رفاعي –رحمه الله– ووقف سدًا منيعًا في وجهها، ثم تطاول عليه بعض المتطاولين، فقدم استقالته من رئاسة مجلس الشورى اعتزازًا بكرامته، وهو السيد العزيز الكريم، فانتهز المتراجعون الفرصة، ومرروا بالتواطئ مع مباحث أمن الدولة ومحامي السلطة خديعة التراجعات، وقال لي –رحمه الله– في أفغانستان: كأني كنت بابًا مسدودًا في وجه التراجعات، فلما استقلت تدفقت كالسيل.

وذكر لي –رحمه الله– أن موقفه هو نفس موقف الشيخ عمر عبد الرحمن فك الله أسره، وقد كان الشيخ عمر عبد الرحمن قد تصور أن المبادرة –التي أطلقها قادة الجماعة الإسلامية من السجن– هي مجرد هدنة، فأيدها في بيان تحت عنوان "وقفوا لله وأوقفوا لله". ولكنه أصدر تصريحًا من سجنه في أواخر صفر من عام ألف وأربعمائة وواحد وعشرين، سحب فيه تأييده لمبادرة وقف العنف، لأنها لم تسفر عن أية نتائج إيجابية للإسلاميين، ولأنه "لم يحدث أي تقدم، فآلاف المعتقلين لا يزالون معتقلين، والمحاكمات العسكرية مستمرة، وعمليات الإعدام لا تزال تنفذ"[1].

وقد أخبرني الشيخ رفاعي طه –رحمه الله– أن الشيخ عمر أرسل قبيل هذا التصريح خطابًا شديد اللهجة للقيادات، التي أطلقت المبادرة، ولذلك حرصت تلك القيادات ومحاميها على عدم نشر ذلك الخطاب حتى اليوم.

كما وجه الشيخ من سجنه نداءين: أحدهما يطالب فيه المسلمين بجهاد اليهود المعتدين على فلسطين، وتتبع مصالحهم في كل مكان، والآخر يناشد المسلمين فيه شن الهجمات على أمريكا وإغراق سفنها وإسقاط طائراتها.

وانطلقت فتنة التراجعات تلهث وراء الخروج من السجن، فقال أكابر مجرمي وزارة الداخلية لقادة الجماعة الأسرى: لا يكفي أن تتركوا –ما يسمونه– عنفًا، بل عليكم أن تتركوا الفكر، الذي قادكم لذلك العنف، وإلا فلن تخرجوا من السجن إلا موتى.

فتهافت أكثر قادة الجماعة الإسلامية الأسرى، فأعلنوا أن حسني مبارك حاكم مسلم لا يجب الخروج عليه، وأن السادات شهيد الفتنة، وأنه قتله كان خطأً، وأنهم نادمون على ما ارتكبوا، وقدموا اعتذارًا للشعب المصري، وأن الطالبان أخطأت لأنها لم تسلم أسامة بن لادن، وأن المعركة مع الغرب لا بد قبلها من التصالح بين الشعوب وحكامها. وأعلن أحدهم أنه لو علم بنية أي شخص للعمل ضد الحكومة فسيبلغ عنه.

وهذه السقطات تصدى لها زعيمان بطلان من أبطال الجماعة الإسلامية، هما الشيخ محمد الإسلامبولي حفظه الله، والشيخ رفاعي طه رحمه الله.

---

[1] الشرق الأوسط الخميس ١٣ ربيع أول ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠/٦/١٥م ص ١، ٣.

أما الشيخ محمد الإسلامبولي حفظه الله، فقد أصدر بيانًا في ربيع الآخر من عام ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرين، جاء فيه:

"أتابع في ذهول واندهاش ما ينشر عبر الصحف من تصريحات لقيادات الجماعة الإسلامية في السجون.

....

-فإن صح ما نشر- أجدني قيامًا بالواجب وحتى لا يعد صمتي قبولًا لما يقال، فإنني أوضح موقفي إعذارًا إلي الله وصدعًا بالحق -الذي تعودنا أن نقوله في الجماعة الإسلامية- كما أمرنا الله به: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾، وتحذيرًا من أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾، فأقول والله ولي التوفيق:

١- لا يحق لإخوة السجن -مع تقديري لمكانتهم- أن يتخذوا مثل تلك القرارات الهامة في تاريخ الجماعة الإسلامية -التراجعات الفكرية، وما ينشر من تصريحات تخالف أفكار الجماعة المتفق عليها- دون مشورة من إخوانهم بالخارج ودون موافقة من الدكتور عمر عبد الرحمن أمير الجماعة الإسلامية.

٢- وبناءً عليه فأقول -وأنا مطمئن- أن التصريحات التي أدلى بها قيادة السجن تعبر عن أصحابها، ولا تعبر عن الجماعة الإسلامية، ولا عن كامل قيادتها، لأنهم يمثلون جزءًا من القيادة.

....

٥- أن ما يحدث من قيادات السجن -من تشويه لأبناء الجماعة الإسلامية وإظهارهم علي أنهم مجرمون وقتلة، وأن ما قام به هؤلاء الشباب مخالف للشرع وحرام- هو أمر خطير يجب التوبة منه، **وهو تشويه للحقائق ومساعدة لهذا النظام المجرم علي إخفاء جرائمه وتلميع صورته القبيحة وعمالته المفضوحة.**

٦- إنني أتشرف أن أكون أحد أبناء الجماعة الإسلامية، التي قدمت الشهداء تلو الشهداء في مصر وأفغانستان والشيشان والبوسنة والهرسك.. فداءً لدين الله ودفاعًا عن الحرمات والأعراض وجهادًا لطواغيت العصر، ويشرفني أن يكون أخي هو **خالد الإسلامبولي قاتل طاغية مصر.** وأن **القول بأن قتل السادات كان خطأً هو خيانة لله وللرسول وللأمة**".

وكذلك كان موقف الشيخ رفاعي طه -رحمه الله- الذي صرح لي في أفغانستان بأنه سيتخذ ما يراه حقًا من مواقف، غير آبه بما تراجع له المتراجعون.

وكان مقاله حول الدروس المستفادة من ضرب المدمرة كول من أمثلة ذلك، فقد ذكر فيه أن هذا الحدث يقدم ثلاثة دروس:

"**الدرس الأول:**

إن توافر الإرادة والإصرار على تنفيذها؛ كفيل بتذليل كل العقبات، حتى لو كان ذلك متعلقًا بقوة كقوة الولايات المتحدة الأمريكية.

....

لقد دمر هذا القارب مع اختراقه لجسم "المدمرة كول" وإحداث فجوة كبيرة فيها؛ مصطلحات طالما ألفتها المنطقة، من أمثال "موازين القوى"، "الظروف الغير مناسبة"، "الواقعية"... كلها كلمات أو مصطلحات انهارت أمام "درس المدمرة".

....

لقد حاولت الآلة الإعلامية الغربية وأبواق الغرب في عالمنا الإسلامي .... أن يبثوا في نفوسنا... بل ونفوس أجيالنا القادمة؛ أننا أمام واقع لا يمكن تغييره.

....

الدرس الثاني:

أن القوى الكفرية في عالمنا اليوم؛ لا بد لها أن تدرك أنها .... لن تستطيع أن تفرض ما تريد إلى ما لا نهاية، وهي حتمًا ستتحمل الكثير من التضحيات والخسائر.

....

أما الدرس الأهم:

..... هو أن كل قوي له نقاط ضعف، وكل ضعيف له نقاط قوة.

....

فهؤلاء الذين كرسوا كل جهودهم ليحيوا حياةً رغدةً سعيدةً؛ ليسوا على استعداد أن يخوضوا حربًا طويلةً ومتسعةً باتساع الكرة الأرضية وانتشار مصالح العدو فيها.

....

وكلما نجحت القوى الشعبية الإسلامية مع كثرة عددها في إشعار هؤلاء القوم؛ أن أعمالهم الإجرامية في بلادنا لن تمر بدون عقاب .... فإن هذه القوى العدوانية لن تستطيع أن تتحمل حياة الرعب والترقب والانتظار".

وحرصًا من الشيخ رفاعي طه –رحمه الله– على إنقاذ الجماعة الإسلامية من هاوية التراجعات، فقد كتب كتابه القيم (إماطة اللثام عن بعض أحكام ذروة سنام الإسلام)، فند فيه شبهات المتراجعين، وأكد على الثوابت الفقهية في أحكام الجهاد، وبين موقفه من النظام الحاكم في مصر حيث قال رحمه الله:

"ونحن قد بينا في هذا المبحث أن النظام الحاكم في مصر هو **نظام ارتد عن الدين** سوغ للناس العمل بأحكام غير شرعية والى عليها وقاتل عليها، وقد قلنا أن هذا النظام **يجب قتاله** لا نصرته، وغني عن البيان أن النظام المصري يقاتل الطوائف المسلمة بقوات حكومية فرغها لهذه المهمة، ولا يمكن إلحاق الهزيمة بالطائفة الحاكمة في مصر إلا بهزيمة هذه القوات، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وعلى هذا فإن العمل على هزيمة هذه القوات واجب شرعي تحتمه ضرورة مواجهة هذه الطائفة الحاكمة وخلعها، وإذا كانت هزيمة هذه الطائفة لا تتم -ضرورةً- إلا بقتل بعضها، فإنه يجب قتل هذا البعض".

ثم قال في خاتمته:

"إذ إننا على يقين من أن العمل على إشراك أكثر طوائف شعبنا المسلم في جهاد الأنظمة الطاغوتية -التي تحكم بلادنا اليوم- لهو من أهم السبل لتغيير هذه الأنظمة واقتلاع المرتدين والممتنعين، وكلما اتسعت دائرة المشاركة من شعبنا المسلم، قرب -ولا شك- يوم النصر لأوليائه والاندحار لأعدائه ..

إن أبناء الحركات الإسلامية عليهم أن يدركوا دور الشعوب المسلمة المغيبة عن المشاركة، وإذا كان أعداء الله يبذلون كل ما في وسعهم لتغييب شعوبنا عن معركة العودة إلى الهوية الإسلامية، وتشريعاته الربانية، فعلينا ألا نشارك في هذا المخطط بدون قصد، وبسوء تخطيط، وعلينا أن نبذل جهدًا مماثلًا لدعوة شعوبنا لمشاركتنا معركة الإسلام، وكلما نجحنا في إفشال مخطط الأنظمة الذي يهدف إلى تغييب دور الشعوب المسلمة، ونجحنا في دعوة شعوبنا للقيام بواجبها لنصرة هذا الدين، كلما نجحنا في ذلك فقد نجحنا في حسم المعركة لصالح الإسلام ..

إن دور الحركة الإسلامية يجب ألا يكون بديلًا عن دور الشعوب، بل واجب الحركات الإسلامية هو دعوة الشعوب المسلمة للمشاركة، ومن ثم دفعها وقيادتها في معركة حاسمة في مواجهة الأنظمة الطاغوتية والفرعونية.

إن الحركة الإسلامية كلما نجحت في أن تعدد وسائلها، نجحت في إشراك أكبر قدر ممكن من أبناء شعبنا، وعلينا أن نقبل أي جهد يمكن أن يقدم على الطريق، ولا نحقرن من المعروف شيئًا".

وكان الشيخ رفاعي طه -رحمه الله- حريصًا على فك أسر الشيخ عمر عبد الرحمن بالعمل وليس بمجرد التسول من أمريكا وأكابر المجرمين.

ولذلك ذكر أنه اتفق مع الشيخ أسامة بن لادن -رحمهما الله- على العمل على تحرير عمر عبد الرحمن عند زيارته لأفغانستان، وشارك في ندوة في قندهار حرضت على العمل على فك أسر الشيخ عمر عبد الرحمن.

وفي أفغانستان أخبرني الشيخ رفاعي طه -رحمه الله- أنه متوجه لسوريا ليسعى في ترتيب عمليات جهادية ضد النظام المصري، وحذرته، ولكنه أصر، وكان يرى أنه لا بد من المخاطرة، حتى لا يتوقف العمل الجهادي في مصر، وبعد وصوله لسوريا قبض عليه النظام النصيري العلماني، وسلمه لنظام حسني مبارك، حيث قبع في سجون المخابرات إلى أن خرج بعد الثورة.

ولما خرج صرح لصحيفة الحياة: أن شباب القاعدة مجاهدون، وأشاد بالشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، وذكر أنه اتفق معه على تنفيذ عمليات ضد الولايات المتحدة لتخليص الشيخ عمر عبد الرحمن من الأسر.

ولما انقلب السيسي على محمد مرسي هاجر للشام، وظل يعمل على توحيد صفوف المجاهدين، إلى أن قصفته طائرات أمريكا، فمضى لربه شهيدًا بعد أن ترك إرثًا من البطولات والمفاخر.

فيا شباب المجاهدين عامةً وفي مصر خاصةً، هذا الشيخ رفاعي طه –رحمه الله– قدوة من قدوات المجاهدين، لم يتراجع ولم يتزحزح عن الحق الذي اعتقده، وبذل في سبيله أغلى ما يملك.

فاقتدوا بثباته وصدقه، وكونوا خير خلف لخير سلف.

وأخص بتذكيري شباب الجماعة الإسلامية، فأذكرهم بمجدهم الذي أضاعته التراجعات، التي خسرت بها الجماعة الدين والدنيا، لقد كانت الجماعة الإسلامية في الصف الأول في مواجهة الطواغيت وأكابر المجرمين الصليبيين، فتحولت بفتنة التراجعات لبوق من أبواق عملاء أمريكا وحلفاء إسرائيل.

ولكن عصم الله أفاضل الجماعة الإسلامية من أمثال الشيخ عمر عبد الرحمن والشيخ محمد الإسلامبولي حفظهما الله، والشيخ رفاعي طه رحمه الله.

فعودوا يا جنود الجماعة الإسلامية لمجدكم، وتذكروا مواقفكم المجيدة، تذكروا خالدًا الإسلامبولي رحمه الله، وهو يصيح في المحكمة العسكرية: أنا خالد الإسلامبولي قاتل فرعون مصر، وتذكروا الشيخ عمر عبد الرحمن، وهو يزأر في محكمة أمن الدولة: "أيها المستشار رئيس محكمة أمن الدولة العليا: لقد أقيمت الحجة، وظهر الحق، وبان الصبح لذي عينين، فعليك أن تحكم بشريعة الله، وأن تطبق أحكام الله، فإنك إن لم تفعل فأنت الكافر الظالم الفاسق".

وتذكروا عليًا عبد الفتاح وخالدًا حفني وطلعت فؤاد وطلعت ياسين وشريف عبد الرحمن، وشريف حسن رحمهم الله رحمةً واسعةً.

وتذكروا هتافكم في محكمة أمن الدولة في وجه القاضي: القصاص القصاص لدم خالد، وتذكروا تأييدكم لشيخ المجاهدين عمر عبد الرحمن وهو يلقي بيانه التاريخي أمام المحكمة: فإن قتلوك يا عمر بن أحمد، فإن الله يختار الشهيد.

تذكروا كل ذلك، ثم تأملوا الحضيض الذي أوصلتكم له التراجعات والتنازلات، فاقتدوا بزعمائكم الثابتين، الذي لم تزعزعهم الحوادث، ولم ينحنوا للطغاة.

أما شباب الإخوان فأقول لهم:

إن الجماعة مرت بمراحل عديدة لتمييع مفاهيم الولاء والبراء وحاكمية الشريعة، والبراءة من كل ما عداها من نظم وعقائد، فاستسيغت الديمقراطية والتمييز على أساس الرابطة الوطنية، والالتزام بالدستور والقانون، والشرعية الدولية وحقوق الإنسان .. إلخ

وانتشرت بينكم مفاهيم ممسوخة، تتقرب بها الجماعة من الأنظمة الحاكمة ومن أكابر المجرمين في العالم، مثل: الجهاد ضد العدو الخارجي فقط، وبإذن الحاكم، ومثل السلمية، ونبذ العنف، وفي هذا مخالفة للقرآن والسنة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين (١٩٣) الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾، والله سبحانه يقول: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله".

واتخذتم مفتي المارينز مرجعًا، الذي ذكر أنه ذهب وعزى في جمال عبد الناصر، مع أنه الذي كتب قصيدته النونية المعروفة عن التعذيب في معتقلاته.

وكانت سقطتكم التاريخية عام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين، حين احتشد نواب الإخوان في مظاهرة النفاق، التي خرجت من مجلس الشعب لقصر حسني مبارك لتجدد له البيعة لمدة ثانية، فأسقطتم بذلك كل تاريخكم، وشهدتم شهادة زور سجلها عليكم التاريخ لصالح الطاغية المجرم الحاكم بغير ما أنزل الله، المحارب للإسلام وأحكامه، السافك لدماء المسلمين، والمستسلم لإسرائيل، والعميل لأمريكا، والسارق لثروات شعبه، فرضيتم به رئيسًا، وهي سقطة لا يغسلها إلا أن تعلنوا البراءة من الطواغيت، وتطالبوا بحاكمية الشريعة بلا منازع ولا مزاحم.

ثم في عام ألفين وأحد عشر شاركتم في الثورة على المجرم، الذي رضيتم به رئيسًا، ثم بعد ذلك تشتكون من أن فلول مبارك هي التي انقلبت على محمد مرسي.

ونسيتم أن سياسات محمد مرسي وقيادات الإخوان كانت هي السبب المباشر فيما حدث بدءًا من خروجهم المبكر من ميدان التحرير، ومفاوضاتهم مع عمر سليمان، والتفاهم مع المجلس العسكري، وإصرارهم على عدم تغيير المادة الثانية من الدستور، واستجداء العلمانيين لانتخاب محمد مرسي، وتماشيه مع النظام الدولي، ورفضه لتطبيق الشريعة، ورضوخه لاتفاقيات الاستسلام مع إسرائيل، وتركه لأكابر المجرمين في الشرطة والاستخبارات والجيش والقضاء، بل وطمأنته لمجرمي الداخلية أنهم لن ينالهم انتقام، وترقيته للسيسي مرتين، كل هذه التصرفات كانت هي سبب البلاء الذي تعيشون فيه، وتعيش فيه الأمة المسلمة في مصر.

لقد كان محمد مرسي رئيسًا بلا رئاسة، حتى الحرس الجمهوري كان ضده، مع أنه كان يؤيده تنظيم الإخوان، وهو أكثر التنظيمات الشعبية عددًا، ولكنهم -مداهنةً لحسني مبارك والأمريكان- ربوا على نفسية الاستسلام، وليس على نفسية الاستئساد، ومن لم يستأسد أكلته الذئاب.

وللأسف لقد شارك الإخوان في إجهاض البركان الشعبي في ثورة يناير، ولم يتركوا الثورة تأخذ مداها في اقتلاع الفساد من جذوره وإقامة حكم الشريعة على أنقاضه، وكان حرصهم على الوصول للحكم أولى عندهم من اجتثاث الفساد والتحاكم للشريعة.

ولا زال قادتكم حتى الآن يتخبطون في كيفية الخروج من هذا المأزق، الذي أوقعوا أنفسهم ومصر فيه.

والآن عليكم أن تقفوا مع أنفسكم وقفة مراجعة، وتشرعوا في خوض معركة المصحف، التي دعاكم لها شيخكم الأول؛ الشيخ حسن البنا رحمه الله.

فعليكم أن تعلنوا الجهاد لنصرة الشريعة، لا لنصرة محمد مرسي، وعليكم أن تعلنوا أن الشرعية هي في حاكمية الشريعة، وليست في عودة محمد مرسي، وأن محمدًا مرسي ليس حاكمًا شرعيًا، حتى لو اتفق عليه أهل الأرض كلهم، لأنه لم يحكم ولم يتحاكم للشريعة، وأنه لن يكون حاكمًا شرعيًا إلا بأن يحكم ويتحاكم إليها، حتى وإن خالفه أهل الأرض كلهم.

ولا يخفى عليكم أن قادتكم في الخارج يسعون بكل طريق ليعودوا للحكم مرةً أخرى بنفس الطرق الفاسدة الفاشلة، التي ما زالوا يدورون فيها من الأربعينات، وأنه أشرف لكم أن تستشهدوا في الميدان مجاهدين، ولا تعيشوا في المعتقلات معذبين، يدور بكم قادتكم في دوائر العبث والفشل المتكرر.

فقودوا حركةً دعويةً جهاديةً راشدةً لتصححوا مسار جماعتكم، فأن أبو إلا طريق العلمانية والدولة الوطنية وحكم الجاهلية والقبول باتفاقيات الاستسلام مع إسرائيل والتحالف مع أمريكا، فكونوا أنصار الله، ولا تكونوا أنصار الجاهلية. ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾.

أما إخواني المجاهدين فأقول لهم:

يا أبطال الإسلام في مصر اتحدوا وتعاضدوا وتعاونوا، وقفوا كالبنيان المرصوص في وجه الحكومة العميلة المرتدة وأسيادها الأمريكان واليهود، حكومة السرقة والفساد والانحلال والعهر، حكومة العدوان على حرمات المسلمين الأحرار الشرفاء، حكومة العسكر المتأمرك المتصهين، التي ظهر كالشمس أن الطريق للتصدي لها ولأمثالها هو الدعوة والجهاد، بكتاب يهدي وسيف ينصر.

واحذروا من تسرب خرافات البدري وأعوانه من ضباط البعث السابقين، الذين يتلهفون على السلطة، ومن أجلها يسارعون في تكفير المجاهدين والافتراء عليهم وسبهم، ليقتلوهم.

فهم يكفرون بالشبهة والكذب بل وبالطاعة كما فعلوا معنا لما اتبعنا منهج القرآن في استخدام اللين كمنهج من مناهج الدعوة، قال الله سبحانه لنبييه موسى وهارون عليهما السلام: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى (٤٣) فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى (٤٤) قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾، أي أن المولى –سبحانه وتعالى– طلب منهما –عليهما السلام– أن يلينا القول لفرعون الطاغية الجبار، الذي يخافان بطشه، وأنا ألنت القول

لمحمد مرسي الأسير العاجز المستضعف، لعله أن يعيد النظر في أمره، ويتبع الحق، فقالوا: إني أدعو لأعداء الدين، أدعو لهم بماذا؟ أدعو لهم بالهداية، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم اهد دوسًا وائت بهم"[٢]، وبوب عليه الإمام البخاري –رحمه الله– فقال: باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم.

ومثل تكفيرهم لإخواننا في المغرب الإسلامي لأنهم اتفقوا مع حركة أزواد، ولم يذكروا على ماذا اتفقوا، اتفقوا على إقامة دولة إسلامية تحكم بالشريعة في جميع مناحي الحياة، ولكنهم يلبسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق وهم يعلمون.

والقوم لا يكفون عن الكذب، فمن أمثلة ذلك زعمهم أننا نفرق بين جيوش الطواغيت قبل الثورات وبعدها، وهذا افتراء وتزوير. فنحن –بفضل الله ومنته– نعتبر هذه الجيوش طائفةً مرتدةً ممتنعةً بشوكة قبل الثورات وبعدها.

وكذلك محمد مرسي لا يختلف عن حسني مبارك في كون كل منهما رئيس علماني لحكومة علمانية.

ولكن الفرق أن محمدًا مرسي أتاح مساحةً واسعةً لحرية التعبير، وهي الفرصة التي قرر السواد الأعظم من المجاهدين استغلالها لبيان الحق، والقيام بفريضة البلاغ، التي أمر الله –سبحانه وتعالى– بها نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾، وقرروا الاستفادة منها لدعوة الأمة للتوحيد وكشف فساد الجاهلية، وهي مهمة الرسل –عليهم السلام– وأتباعهم في كل زمان، قال الله سبحانه: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا (٤٥) وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا﴾.

فكان من الثمار المباركة لهذه السياسة الحكيمة أن انتشر دعاة الشريعة والتوحيد والجهاد في طول البلاد وعرضها في مصر وتونس، وأقاموا الملتقيات وحشدوا المظاهرات في وسط القاهرة وفي ميدان التحرير، وأعلنوا دعوتهم على الملأ، وخرجوا في وسائل الإعلام المختلفة بل وفي التلفزيون الرسمي المصري، يدعون لتحكيم الشريعة، ويناصرون القاعدة، ويدعون للجهاد، وينفون عن المجاهدين أكاذيب العلمانيين وأباطيل أمريكا وحلفائها، ويصدعون بالحق في وجه الطغاة.

وكانت هذه فرصة استغلها المجاهدون ومشايخهم لإبلاغ الحق وإقامة الحجة، مع علمهم أنها فرصة قصيرة، سرعان ما سيعطلها أعداء الأمة من الصليبيين وأذنابهم في بلادنا.

وقد سمى الله –سبحانه وتعالى– صلح الحديبية فتحًا في القرآن، ولما نزلت سورة الفتح، قال عمر –رضي الله عنه– كما في الصحيحين لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أوفتح هو؟ قال: "نعم". ودخل بسببه في الإسلام خلق كثير.

---

[٢] أخرجه البخاري– كتاب: بدء الوحي، باب: باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم.

والقوم يتنفسون الكذب، ويتلهفون على تكفير المخالف، ولا يرضون عنك -وإن كنت متبعًا للقرآن والسنة- إلا بأن تبايعهم، وتكون شاهد زور على استحقاقهم لمنصب الخلافة، وهم أبعد الناس عن ذلك، وإلا بأن تسكت على جرائمهم، التي ترحب بها أمريكا أيما ترحيب، لأنها تحقق لها مصلحةً من أهم مصالحها، ألا وهي إشعال الحرب في الصف الجهادي باسم الجهاد والإسلام، وهو نفس الدور التخريبي، الذي قام به أسلافهم الخوارج ضد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وضد الأمة المسلمة في صدر الإسلام.

ولكن خارجيتهم هذه المرة خارجية انتفاعية سياسية مصلحية، تتخذ من التكفير والسب والافتراء وسيلةً لتحقيق مطامع السلطة وشهوات الحكم.

وقد ذكر أئمة التاريخ أن الحجاج لما دخل الكوفة بعد هزيمة ابن الأشعث رحمه الله، كان لا يبايع أحدًا من أهلها إلا قال: اشهد على نفسك أنك قد كفرت، فإذا قال: نعم. بايعه، وإن أبى قتله، فقتل منهم خلقًا كثيرًا ممن أبى أن يشهد على نفسه بالكفر.

فهؤلاء أحفاده، لأنهم يرون كفر كل من يقاتلهم، لأنه -بزعمهم- يتسبب في طرد دولتهم من المناطق التي تطبق فيها الشريعة كاملةً بزعمهم، وهذه الحجة المتهافتة يلزمهم أن يكفروا بها أنفسهم، فهم قد أعلنوا انسحابهم من نقاط الرباط مع النظام النصيري، وطعنوا المجاهدين أكثر من مرة في ظهورهم، مما تسبب في استيلاء النظام النصيري على مناطق كان المجاهدون قد حرروها، فتسببوا في استيلاء النظام النصيري عليها، إذن فقد تسببوا في استيلاء الكافر النصيري على مناطق حررها المجاهدون.

ويكذبون فيزعمون أنهم يتبعون أسامة بن لادن رحمه الله، وأسامة بن لادن كتب قصيدةً في مدح الثورات العربية، فهل مدحوها أم ذموها؟

وأسامة بن لادن بايع الإمارة الإسلامية وأثنى عليها، ودعا المسلمين لبيعتها، فلماذا كذبوا وقالوا: إن دولة العراق الإسلامية لم تكن بينها وبين القاعدة والإمارة الإسلامية بيعة؟

وأسامة بن لادن دعا لعدم قيام أية إمارات إسلامية في هذا الوقت، لعدم توفر الظروف الملائمة، فلماذا عصوه؟

وأسامة بن لادن أكد أن الأمة هي من لها حق تعيين الإمام، فلماذا ناقضوه؟

وأسامة بن لادن لم يوافق على أن يكون إبراهيم البدري أميرًا لدولة العراق الإسلامية، وأمر بأن تكون إمارته مؤقتةً لحين وصول تزكية له، وطلب من الشيخ عطية -رحمهما الله- أن يجمع المعلومات عن البدري، ومن ذلك سؤال أنصار الإسلام، ورضخ البدري لذلك الأمر، فلماذا بايعوا من رفض أسامة تعيينه، ولم يكن يزكيه؟

وكذبوا وكفروا الإمارة الإسلامية، واتهموا قيادات الطالبان بأنهم باعوا أنفسهم للاستخبارات، مع أننا بايعنا الإمارة الإسلامية على شروط محددة تنسف كل شبهاتهم، ورحب بهذه البيعة الملا أختر محمد منصور وشكرنا بالاسم، ثم استشهد بالقصف الأمريكي، رحمه الله، مع أنهم كانوا يتهمونه بالعمالة للاستخبارات.

وقد طالبناهم بأن يصدروا بيانًا رسميًا في أسباب تكفيرهم لنا بالوقائع الدقيقة والأدلة السالمة من المعارض، وطالبناهم بأن يذكروا لنا أسماء من زعم البدري أنهم عقدوا له البيعة، وصفاتهم وتاريخهم، ومن منهم كان في جيش البعث واستخباراته، وهل علمت لهم توبة؟ ومن ماذا تابوا؟ وهل خرجوا من البعث أم طردهم بريمر؟ فالتحقوا بالمجاهدين؟ ولكن لا جواب إلا التكفير والسب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ولا استعمل عمر قط -بل ولا أبو بكر- على المسلمين: منافقًا، ولا استعملا من أقاربهما، ولا كان تأخذهما في الله لومة لائم، بل لما قاتلا أهل الردة وأعادوهم إلى الإسلام منعوهم ركوب الخيل وحمل السلاح حتى تظهر صحة توبتهم، وكان عمر يقول لسعد بن أبي وقاص وهو أمير العراق: لا تستعمل أحدًا منهم، ولا تشاورهم في الحرب. فإنهم كانوا أمراء أكابر: مثل طليحة الأسدي، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، والأشعث بن قيس الكندي، وأمثالهم، فهؤلاء لما تخوف أبو بكر وعمر منهم نوع نفاق لم يولهم على المسلمين"[٣].

إذن فنحن أمام منظومة دجل وكذب، ولذا يجب ألا نتراجع أمام باطلهم، بل نصدع بالحق الذي نعتقده، فإن قدموا لنا دليلًا على خطئنا تراجعنا عنه، وإلا فيجب أن نفضح أساليبهم. ونستمر في متابعة سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وخلفائه الراشدين -رضي الله عنهم- في السلم والحرب والصلح والتفاوض والدعوة والبيان وتقديم المصالح وتقليل المفاسد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة وقمع الفاسدين وتطهير البلاد من المجرمين، والرأفة والرحمة بعوام المسلمين، والتحرز عن تكفيرهم إلا بدليل قاطع، وعدم تبديعهم وتفسيقهم إلا بدليل بين. ونعلي من هيبة القضاء الشرعي، ولا نتهرب منه، ونرضى بأحكامه وإن صدرت ضدنا.

ولقد فتحنا لهم باب التعاون في قتال الصليبيين والروافض الصفويين والعلمانيين النصيريين، ولكن ماذا كان جوابهم؟ السب والتكفير، وهل يعقل أن يرفض عاقل في قلبه بقية من خلق ودين هذه الدعوة في هذا الوقت؟

إذن فما الباعث وراء هذا السلوك الشاذ؟

هذا سؤال خطير يجب علينا جميعًا أن نتدبر فيه.

وعمومًا افتحوا لهم باب الخير والدعوة للتعاون على قتال الطواغيت، فإن أبوا إلا التكفير والسب كما فعلوا معنا، فاكشفوا فسادهم وانحرافهم، واحذروا من أن يستخدمهم قادتهم من طلاب السلطة وضباط البعث السابقين

---

٣ مجموع الفتاوى: ج: ٣٥ ص: ٦٥.

ليفرقوا صفكم بالكذب والتكفير، وتكون الحكومة هي المستفيدة الأولى من ذلك. كما أفسدوا من قبل في الشام، وسعوا لذلك في المغرب واليمن وأفغانستان، ولكن وقى الله شرهم بفضله وكرمه.

كما أؤكد عليكم بأنه لا بد من ترك الأفكار المنحرفة، التي تميع العقيدة، وتحاول أن تتسول النظام العالمي للحصول على فتات المكاسب، وتزعم أنها ستنصر الإسلام بالتحاكم لغير الإسلام، فها أنتم قد رأيتم بأم أعينكم الخسارة، التي انتهى إليها أصحاب تلك الأفكار في الدين والدنيا.

إخواني المجاهدين في مصر وفي كل مكان؛ إن معركتنا طويلة وعنيفة وشاقة، ولا بد فيها من الصبر، وأقوى عتاد لنا فيها هو عقيدتنا.

وعلينا أن نركز في عملنا على أهداف معينة، فأولها: المصالح الأمريكية واليهودية، ومصالح التحالف الصليبي، هذه هي أهم الأهداف.

ويليها في الأهمية استهداف أكابر المجرمين من الجيش والشرطة والأمن والمخابرات، والصحفيين المأجورين، والقضاة المنافقين.

وختامًا فرحمك الله يا رفاعي فارسًا جاهدت تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم، حتى اصطفاك ربك شهيدًا في أرض الجهاد والرباط، وهنيئًا لك عملك الصالح وشهادتك التي أرجو أن يتقبلها ربك، وأسأل الله أن يرزقني وإخواني الصبر حتى نلقاك غير خزايا ولا مبدلين.

قد كنت أوثر أن تقول رثائي   وتعيد من ذكري لدى الأحياء
لكن سبقت وكل طول سلامة   قدر وكل منية بقضاء
الحق نادى فاستجبت ولم تزل   بالحق تحفل عند كل نداء
شيخ الجهاد بذلت عمرك شامخًا   لا تنحني لعواصف الإغواء
وأبيت أن تحني الجبين لظالم   فسموت فوق مدارج الجوزاء
ووقفت كالأسد الهصور مدافعًا   عن مبدأ وعقيدة وفداء
لما رأيت القوم باعوا مجدهم   بسفاسف ولعاعة وغثاء
أشهرت سيف يراع حق كاشف   وحشدت أسد كريهة ولقاء
وصبرت صبر الليث وهو بقيده   لم ترض أن تخلعه باستجداء
وخرجت من ضيق السجون بثورة   والرأس مرفوع بلا استخذاء
وأبنت عن حب لكل مجاهد   هم أولياء الدرب أي ولاء
وأتيت ثغرًا بالشآم تذود عن   دين النبي بحومة الهيجاء
فرقيت فيه من الشهادة رفعةً   ولحقت ركب الرسل والشهداء

فوددت لو أني فداك من الردى وعبيد أمريكا (الرعاع) فدائي
رتب الشجاعة في الرجال جلائل وأجلهن شجاعة الآراء
اليوم هادنت الحوادث فاطرح عبء السنين وألق عبء الداء
خلفت في الدنيا بيانًا خالدًا وتركت أجيالًا من الأبناء
وغدًا سيذكرك الزمان ولم يزل للدهر إنصاف وحسن جزاء
يا أسد مصر ويا ليوث صعيدها هذا رفاعي قدوة لعطاء
فاقفوا على أثر الشهيد وسابقوا في البذل من يمضي من الآباء[٤]

وأكتفي بهذا القدر، وأواصل ذكر مآثر شهداء الحملة الصليبية الباكستانية على وزيرستان في حلقة أخرى بإذن الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[٤] الأبيات أصلها قصيدة لأحمد شوقي مع تعديل.